Journal Of the Iraqia University (72-3) October (2024)



ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq



عصمة الإمام عند الفريقين

سلام جابر حداوي الحسون

زينب حسين دلول السلطاني

جامعة طهران / فارابي – كلية الإلهيات– قسم علوم القرآن والحديث

بـــإشـــراف : الدكتور فتح اله نجارزادكان

تدريسي في جامعة طهران / فارابي

" The infallibility of Imam Ali and his knowledge according to both groups

Salam Jaber Hadawee and Zainab Hussein Dalol Prepared by the researcher:
University of Tehran / Farabi - Faculty of Theology - Department of Qur'anic and Hadith Sciences
Email: jabersalam127@gmail.com and zainabalsultany2@gmail.com
Supervised by:
Professor: Fath Elah Najarzadekan
Teaching at the University of Tehran / Farabi

المقدمة

الحمد لله حمدا دائما كثيرا بل لله الحمد كما هو اهله وكما يستحقه وكما يليق بجلال وجهه الكريم والصلاة والسلام على خير الانام خلفاء الله في ارضه وحججه على خلقه محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين الشهيد والتسعة المعصومين من ذرية الحسين اعلام الهدى ومصابيح الدجى والعروة الوثقى ولا سيما الكهف الحصين وغياث المضطر المستكين حبيبنا وولي امرنا وولي نعمتنا قائد زماننا حسين عصرنا الغريب الشريد الطريد المنتظر المهدي بقيه الله في الارضين (اللهم عجل فرجه وسهل مخرجه)

بيان الموضوع :

ان موضوع عصمة الامامه عند الفريقين من الامور المهمه التي لابد وان تدرس في ابعادها ومحتواها الادبي والعلمي ومن كافة الجوانب لغرض بيانها وتوضيحها وفك أوجه الخلاف العلميه والعمليه ليتضح للناس ما هي العصمه وما هي اثارها الدنيويه والاخرويه وسوف نتطرق الى عصمه الامام عند مفسرين الشيعه في المبحث الاول وما ذكروه من ابحاثهم وكتبهم واثبتوه من ادله قرانيه وروائيه واحاديث نبويه معتبره وكذلك شواهد لهم من ايات قرانيه وتفسيرها وتحليلها ليتبين دور العصمه والامامه في المحاور كافه وكذلك في المبحث الثاني نذكر عصمه الامامه عند مفسرين اهل السنه وما تطرقوا اليه في ابحاثهم وادلتهم لنقوم بمقارنه وتباين محايد لهذه المجالات لكل من المجال التفسير الشيعي وكذلك التفسير السني ونذكر في المبحث الثالث تقييم اراء الفريقين ونذكر ادله كل فريق بادله معتبره وصحيحه وعندها نخرج بنتيجه وخلاصه لبحثنا وما يثبت واوضح من امور مبينه ان شاء الله وسنتطرق في بحثنا الى مواضيع عدة منهاالمبحث الأول: (١–١)عصمة الإمام وعلمه عند مفسري الشيعة(١–٢) نظرية الشيعة في الأمامية (١–٣) حصيلة المبحث المبحث الثاني: عصمة الإمام وعلمه عند مفسري اهل السنة المبحث الثالث: (٣–١) تقييم آراء الفريقين (٣–٢) الأدلة القائمة علي أن المراد هنا المعصوم(٣–٣)عند تقييم آراء الفريقين ينبغي ملاحظة نقاط عديدة

عصمة الإمام عند الفريقين

الأبحاث القرآنية والروانية في رتبة الإمام ومصطلح الإمام،وما حققناه من قوله تعالي في وصف الإمام" يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا "وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ أن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية، ومؤيداً من عند الله بعلم اختصاصى لا اكتسابي، ومع ذلك لكي يكون القارئ علي معرفة واضحة من وجهة نظر المفسرين في عصمة الإمام وعلمه نستعرض آراؤهم في هذا الموضوع.فإبراهيم الله وبعد أن علم بحصوله مرتبة الإمامة من الله تعالي قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، فالخليل وكما عند غالب المفسرين في مقام الطلب من الله تعالي في أن يجعل من ذريته من يؤتم به ويقتدي به.وعلي هذا الأساس ذهب بعض المفسرين إلي أن وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف علي جاعل في إِنِّي جَاعِلُك، وأنه بمنزلة الاستفهام التقريرى للزيادة في الاستبشار والابتهاج، وللازدياد من الشكر لله تعالي بما جعل فيه وفي ذريته من منصب الإمامة وذلك أن الخليل كان يعلم أن بعض ذريته ستنالهم درجة الإمامة. وذهب بعض آخر إلي أنه استفهام حقيقي وأن إبراهيم عالية كان على علم بأن غيره سينال هذه الدرجة في المستقبل ولكنه لم يك يعلم انتماءاتهم، فطلب من الله تعالي أن يكونوا من ذريته، وأن لا تخرج الإمامة من بيته، فأعطاه الله ما طلب، فجعل الإمامة في ذريته إلى أن وصلت إلى خاتم النبيين وآله الله، وعليه فيكون فاعل فَأَتَمَّهُنَّ كلمة رَبِّهِ، وأن قوله إِنِّي جَاعِلُك لِلنَّاسِ إماماً هو نفس الكلمات التي ابتلى إبراهيم بهافطلب إبراهيم اللي لجعل الإمامة في ذريته حسب المعني الأول لم يك لكافة الذرية، لأنه كان علي علم بأن بعضهم غير مستأهلين، فلا يعقل مع عظيم منزلته أن يطلب ما هو خلاف علمه. و حسب كلا المعنيين فالجواب الإلهى لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ، وفيه إشارة إلى غاية بعد الظالمين عن ساحة العهد الإلهى. وهل الظالم» هنا قبالة «العادل» أو قبالة «المعصوم»، وهل أن آية العهد بمعني الإمامة أو الأعم منها ؟ فأساس اختلاف آراء الفريقين في العصمة وعلم الإمام يكمن في أسلوب الجواب لهذه الأسئلة. والآن نتابع البحث وحسب الأسلوب المقارن بتبيين آراء الفريقين أولاً ثم تقييمها ونقدها في مقولتين:

المبحث الأول (لا) عصمة الإمام عند مفسري الشيعة

عصمة الإمام: ذهب مفسرو الشيعة إلي فهم وإثبات عصمة الإمام من هذه الآية. قال على بن إبراهيم القمى (ق ٣ و ٤) في التفسير المنسوب إليه ١/٥٩: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ الله لا يكون بعهدى إمام ظالم.وهكذا الشيخ الصدوق ذهب إلي أن إبراهيم الله كان عارفاً بعظمة هذا المقام فطلب أن يكون ذلك للمعصومين من ذريته، فقال في الخصال ٣٤٣ و قول ابراهيم اللاه ومن ذريتي»، «من» حرف تبعيض ليعلم أن من الذريه من يستحق الامامة، ومنهم من لا ... وذلك أنه يستحيل أن يدعو ابراهيم بالامامة للكافر أو للمسلم الذي ليس بمعصوم، فصح أن باب التبعيض وقع خواص المؤمنين، والخواص إنما صار واخواصاً بالبعد عن الكفر ثم من اجتنب الكبائر صار من جملة الخواص أخص، ثم المعصوم هو الخاص الاخص ولو كان للتخصيص صورة أربي عليه لجعل ذلك من اوصاف الامام. الي أن قال بعد استناده الي بعض الآيات في المقام لوجوب جعل الامامة في ذرية نبي الاسلام له من المعصومين:و قوله عز وجل ولا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ عنى به أن الامامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً أو أشرك بالله طرفة عين و إن أسلم بعد ذلك ... وأعظم الظلم، الشرك قال الله عز وجل إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ، وكذلك لا تصلح الإمامة لمن ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان او كبيراً إن تاب منه بعد ذلك ... فاذاً لا يكون الامام معصوماً ولا تعلم عصمته الا بنص الله عز وجل عليه على لسان نبيه الله لأن العصمة ليست في ظاهر الخلقة .وتابع الشيخ الصدوق بحثه و بالاستدلال ببعض الآيات بوجوب جعل الإمامة للذرية المعصومة من آل النبي محمد الله.واستطرد شيخ الطائفة الطوسي (٤٦٠) إلي ذكر اختلاف الآراء في معني العهد وسيأتى كلامه عند ذكر آراء السنة في الموضوع ثم استدل الشيخ الطوسى في التبيان ١/٤٤٩ – بعد ذكر كلام مجاهد بن جبر – بلفظة العهد علي عصمة الإمام وقال:واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح، لأن الله تعالى نفى أن ينال عهده – الذي هو الإمامة – ظالم و من ليس بمعصوم فهو ظالم إما لنفسه أو لغيره».وتابع الشيخ الطوسى بحثه بأن الاماميه لا تقبل خلافة الخلفاء الثلاثة لأنهم كانوا مشركين قبل الإسلام والشرك من اظهر مصاديق الظلم، فلا تصح امامة من تصح امامة من تدنس بالشرك مفسري الإماميه في تفسير العهد بالإمامة، والظالم بما يقابل المعصوم، ومن جملتهم العلامة البلاغي (١٣٥٢) في الآء الرحمان ١/١٢٤ واضاف للبحث نكات بديعية من جملتها: الف) لا ينال عهدي الظالمين بياناً لشرف الإمامة في فضيلتها العظمي ب) «هذا العهد الكريم من نحو الوصية والدلالة علي التعيين و نظير ذلك قولهم ولي عهد

ج) «الظالم يعم من ظلم نفسه بمخالفته للحق وكيف يليق من لا رادع له من كماله عن الظلم لنفسه أو لغيره لأن يعهد الله إليه بإمامة الناس وإصلاح أمورهم وإرشادهم: قال الله تعالي: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى. (يونس /٣٥) واستتبع العلامة البلاغي تحقيقه بذكر الروايات الواردة في المقام مستنبطاً منها بعض النكات واستمر على هذه الوتيرة سائر المفسرين من الإمامية مثل العلامة الطباطبائي (١٤٠٢) في الميزان ١/٢٧٣ وأن العصمة تشمل جميع فترات حياة الإمام قبل الإمامة وبعدها، وأن مقام الإمامة بدرجة من العلو والسمو بحيث لا تتناسب إلا مع مقام العصمة، وذلك:ثم قال ان الملاك في موهبة الامامة «الصبر في جنب الله و اليقين» في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا

صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجده (٢٤) و قد اطلق الصبر وكانوا قبل ذلك موقنين... فالامام يجب ان يكون انساناً ذا يقين مكشوفاً له عالم الملكوت و قد ذكر الله من جمله قصص ابراهيم عليه وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (الأنعام / ٧٥ الثاني: الامامة على شرافته و عظمته لا يقوم الا بمن كان سعيد الذات بنفسه، اذ الذي ربما تلبس و بهذا البيان يظهر أن المراد بالظالمين» في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ مطلق من صدر عنه ظلم ما من شرك او معصيته، و ان كان منه في برهة من عمره، ثم تاب و صلح... فالامام يجب أن يكون معصوماً بعصمة الهية ومؤيداً من عند الله ويستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس و...». ثم استدل العلامة الطباطبائي بما نقله عن بعض أساتذته أنه حينما سئل عن دلالة الآية علي عصمة الامام فأجاب: إن الناس بحسب القسمة العقليه على اربعة أقسام: من كان ظالماً في جميع عمره و من لم يكن ظالماً في جميع عمره، و من هو ظالم فى اول عمره دون آخره و من هو بالعكس هذا و ابراهيم الله اجل شأناً من أن يسأل الامام للقسم الأول والرابع من ذريته، فبقى قسمان، وقد نفى الله أحدهما، و هو الذي يكون ظالماً في اول عمره دون آخره، فبقى الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره».[1] وسبق إلي هذا المعني الشيخ الصدوق كما تقدم وابو الحسن البصروي كما في متشابه القرآن لابن شهر آشوب ٢/٢٦ ونجد مثله في كلام المكارم الشيرازي في تفسير الأمثل ١/٥٠٥ حيث يقول: وبما أن مقام الإمامة والقيادة الظاهرية والباطنية للخلق عظيم جداً فمن الواضح أن ذنباً واحداً أو معصية واحدة أو سوء سابقة تؤدى إلى حرمان هذا المقام، فلذلك استند أئمة أهل البيت في إثبات خلافة على اليد للنبي الله من دون فصل ودون غيره بهذه الآية (البقرة / ١٢٤)و هكذا آية الله جوادي الأملي في تسنيم ٦/٥٢١-٥٢٢ فقد أورد البحث بتفصيل أكثر مع نكات بديعية؛ قال في بدء كلامه الي ان قال: فالتفكير في جيل المستقبل والذرية الصالحة، وليس في مجرد ان تصبح له ذرية، كانت من السنن الحسنة لا براهيم ، و قد تجلت هذه الظاهرة بشكل واضح في أدعيته اللي كسؤاله تعالى أن يجنبه و بنيه عيادة الاصنام وأن يجعله واياهم من مقيمي الصلوة.إن من أبرز المنازل الإنسانية هو مقام الامامة و قد طلبه ابراهيم اللة بعد أن عهد اليه به لذريته من بعده وقال ومن ذريتي ... و الامامة بالطبع تختلف من شخص الى اخر شدة و ضعفاً وأن لها مراتب شتى. فالامامة التي نصب لها ابراهيم الخليل الله والتي طلبها لبنيه وأحفاده من بعده هي من المراتب البارزة للامامة.اما ادب ابراهيم عليه الذي تجلى في هذا الدعاء فهو أنه لم يطلب الامامة لكافة ذريته لعلمه بعدم أهلية بعضهم لها... و لهذا فقد قال في مسألته من ربِّه وَمِنْ ذُرِّيَّتِي و قد جاء رد الباري عزوجل على طلب نبيه كالتالى ولا ينالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فعصارة الرد الالهي كما سبق لنا أن قلنا وهي أن الذرية المعصومة لابراهيم اية مشمولة بعهد الله وأن منزلة الامامة تنتزل عليهم وتصل اليهم فقط».ثم قال في تتميم الكلام الضرورة عصمة الامام اما ادب ابراهيم الله الذي تجلى في هذا الدعاء فهو أنه لم يطلب الامامة لكافة ذريته لعلمه بعدم أهلية بعضهم لها... و لهذا فقد قال في مسألته من ربِّه وَمِنْ ذُرِّيَّتِي و قد جاء رد الباري عز وجل على طلب نبيه كالتالى لا ينالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فعصارة الرد الالهي كما سبق لنا أن قلنا وهي أن الذرية المعصومة لابراهيم اللي مشمولة بعهد الله وأن منزلة الامامة تتنزل عليهم و تصل اليهم فقط». ثم قال في تتميم الكلام الضرورة عصمة الامام إن اعتبار العقلاء و سيرتهم، يقضيان بعدم إعطاء المسؤوليات الحساسة والاعمال الخطيرة لاصحاب السوابق السيئة و بناء عليه فإن من غير المقبول أن يعهد الله الحكيم بالشؤون الروحانية والمعنوية المهمة من قبيل النبوة والرسالة والولاية على الناس.... ولا يايستفاد من الآية الكريمة قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سلف او من الحديث الشريف الاسلام يجب ما قبله أكثر من غفران ما سلف من الذنوب والتجاوز عنها، ولا يتعهدى مضمونهما ابداً الى تجويز اعطاء المناصب الدينية الحساسة.

ثانياً: ان جملة لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فيها اطلاق بمعنى أن عهد الامامة لا يصل الى هذا الشخص الذي هو الان مشرك و كافر وظالم؛ سواء أتاب فيما بعد أم لم يتب، اللهم الا أن تدل قرينة خارجية على تقييده و هذا الدليل قد صرح به الشيخ الطوسي

ثالثاً: ما افاده العلامة الطباطبايي نقلاً عن بعض اساتذته أو قد نقلناه أنفاً».الروايات الواردة في المقام وإضافة إلى ما تقدم من أقوال الإمامية وأبحاثهم التفسيرية هناك روايات عديدة في مصادر الفريقين عن النبي وعلى والباقر والصادق والرضا عليهم الصلاة والسلام تؤكد عصمة الإمام وأن الأئمة هم أهل بيت محمد الله مثل الحديث الذي ورد في الكافي ١/١٧٤، والاختصاص ٢٢ عن جعفر الصادق أنه قال: ... قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتي قال الله: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، فقال الله: وَلَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماًوفي بصائر الدرجات ٣٧٣ باب في الفرق بين الأنبياء والرسل والأئمة بعد قوله وَمِنْ ذُرِّيَّتِي بأنه يكون في ولده كلهم.وفي الكافي ١/١٩٩ ، وعيون أخبار الرضا ١/١٧٢ في حديث عن الرضا (ع)أنه قال: إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها و أشاد بها ذكره، فقال: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا فقال الخليل الله سروراً بها: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قال الله تبارك و تعالى:لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِين، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة؛ ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ.فالظالم في الرواية في مقابل اهل الصفوة ولا في مقابل

العادل العادي وغيرها من الروايات وكما تقدم إتفق مفسر و الاماميه علي أن العهد في هذه الآية هو إما الامامة فحسب أو الأعم منها بما يشمل كل سفارة إلهية منوطة بجعل إلهي مثل النبوة، وأثبتوا أن مقام الامامة لابراهيم السلام جعلها الله له بعد النبوة .

(١-٢) نظرية الشيعة في الامامة هي:الشاهد حديث الثقلين قال رسول الله ص (اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)

اولاً: أن الشروط والأوصاف المذكورة للنبي يلزم توفرها للامام بطريق اولي، ومن تلك الأوصاف هو الجعل الخاص الالهي والعصمة والعلم.

ثانياً: اذا لم يتصف الإمام بأعلي درجة العلم والكفاءة الفعلية بالمقدار اللازم فسوف يختل أمره في العصمة، وعليه فعصمة الامام تقتضي علماً فعلياً وشاملاً ومصوناً علي الخطأ ولا حاجة لبيان أقوالهم في العصمة هنا اذ تقدم ذكرها فيما سبق.

ثالثاً: وبالاستدلال بالآية ١٣٥ يونس : ... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى... فإن الامام يجب ان يكون هادياً الي الحق بعلمه الالهي غير اكتسابي، معصوماً عن الضلال والمعصية والا كان غير مهتد بنفسه. كما في الآء الرحمان ١/١٢٤، والميزان ١/٢٧٣

رابعاً: وبالإستناد ايضاً إلى قوله تعالي في سورة الأنبياء / ٧٣: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ..قالوا إن الوحي بفعل الخيرات وصف خاص للأئمة ففرق بين مثل قولنا وأوحينا اليهم ان افعلوا الخيرات» فلا يدل علي التحقق والوقوع، بخلاف قوله وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ فهو يدل علي وقوع الفعل و أن ما فعلوه من الخيرات انما هو بوحي تسديدي الهي و تأييد سماوي فالامام مؤيداً من عند الله و عالم بجميع ما يحتاج اليه الناس في امور معاشهم و معادهم لاحظ الميزان ١/٢٧٣ وتسنيم ٦/٥٠.فإن قيل: إذا كان الأنبياء والأئمة يعلمون

خامساً: يمكن فهم أبعاد علم الإمام من الحديث الطويل الرضائية حيث قال: إن الانبياء والائمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم اهل الزمان في قوله تعالى أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (يونس (٣٥) و قوله تبارك و تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (البقرة / ٢٦٩).

(١-٣) حصيلة البحث أن مفسروا الشيعة جعلوا «من» في قوله "وَمِن ذُرِّيَّتِي" للتبعيض، والعهد بمعني الإمامة أو السفارة الالهية كالنبوة، والظالم قبال المعصوم، واعتقدوا أن للإمام العصمة المطلقة، والعلم اللدنى لكل الأزمنة واستدلوا :عليها بأدلة وشواهد عديدة منها: ١- أن الإمامة شأنها شأن النبوة وأمثالها من المناصب الخطيرة مما تحتاج إلى نصب وجعل إلهي اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، ولا تصل إلي من له سوابق سيئة. أن قوله لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ يشمل كافة الأزمنة سواء قبل الإمامة أو بعدها وكما ورد في بعض أحاديث الشيعة. أن فهم إبراهيم الله وعرفانه لسمو هذا المقام العظيم دفعه إلي أن يطلب من ربه جعل هذه الإمامة لبعض ذريته وهكذا في برهان السبر و التقسيم.ومن هذا المنطلق قالت الشيعة: إن من قضي فترة من عمره في الشرك لا يصل إليه هذا المقام، بل هو خاص للمنتجبين والمطهرين.ومع إثبات عصمة الإمام يثبت له أيضاً سعة علمه ومصونيته عن الخطأ، ذلك أنه إذا لم يكن له مثل هذا العلم فهو في معرض الأخطاء وهو لا يتناسب مع العصمة، واستدل بعض أعلام الإمامية علي هذا ببعض الآيات القرآنية أيضاً.

المبحث الثاني عصمة الإمام عند مفسري اهل السنة

عصمة الإمام: نجد تفسير النبي في مصادر اهل السنة لمعني «العهد» و«الظالمين» إلا ما روي الحسكاني في شواهد التنزيل ١/٤١١ ومناقب ابن المغازلي برقم ٣٢٢، بسندهما الي ابن مسعود أنه قال:قال رسول الله: أنا دعوة أبي إبراهيم فقلنا يا رسول الله و كيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحي الله عز وجل إلي إبراهيم إني جاعلك للناس إماماً فاستخف إبراهيم الفرح فقال: يا رب و من ذريتي أئمة مثلي؟ فأوحي الله إليه أن يا إبراهيم إني لا أعطيك عهداً لا أفي لك به قال: يا رب ما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريتك قال: يا رب و من الظالم من ولدي لا ينال عهدك ؟ قال: من سجد لصنم من دوني لا أجعله إماماً أبداً ولا يصح أن يكون إماماً. قال إبراهيم: وَاجْتَيْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ (ابراهيم / ٣٦-٣٥) قال النبي: فانتهت الدعوة إلي و إلي أخي على لم يسجد أحد منا لصنم قط فاتخذني الله نبياً و علياً وصياً». أقول: الحافظ، أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن أحمد الحسكاني القرشي النيسابوري من علماء الحنفية في القرن الخامس، قال الذهبي في ترجمته في سير اعلام النبلاء: الإمام المحدث البارع... الحنفي الحاكم» (ج) ص ٢٦٨، الرقم (١٣٦) و قال في التذكرة «الحسكاني، القاضي المحدث... الحنفي الحاكم شيخ متقن دو عناية تامة بعلم الحديث (ج ٣، ص ١٢٠٠، الرقم (١٠٣٢) و ايضا انظر ترجمته في الجواهر المضية في طبقات الحنفية» لمحيي الدين الحنفي (م ٧٧٥) و طبقات علماء الحديث» لأبي عبدالله ابن عبد الهادي الدمشقي (م/٧٤٣ه قال العلامة المحقق الشيخ محمد كاظم المحمودي في مقدمة كتاب شواهد التنزيل المعروف من مذهبه و مذهب أسرته وأولاده أنهم على مذهب أبي حنيفة، وهكذا ترجم له كافة من ذكره من المتقدمين، و لهذا تجد ترجمته في طبقات الحنفية مثل الجواهر السنية و الطبقات السنية بل عبر عنه صاحب تاريخ بيهق بأنه

محدث خراسان و خراسان آنذاك بأغلبيتهما على مذاهب السنة من شافعية وحنفية وكرامية. و أيضاً عامة مشايخه من أهل السنة و من مختلف المذاهب إلا القليل الذي يشبه النادر، وعامة مصادره هي من أهل السنة إلا تفسير فرات و العياشي.و هذا الكتاب وهو خير شاهد على اتجاهات المؤلف يدل على ذلك بوضوح، ففيه الكثير من الأحاديث التي تتوافق مع مذهب أهل السنة كالاحاديث التي ذكرها المؤلف في مناقب أبي بكر و عمر و بعضها عثمان في تفسير الآية اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (الفاتحه) الرقم ٩٧ الى ١٠٠ و تفسير الآية الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهم الفرح ... (آل عمران (١٧٢) الرقم ١٨٧، و تفسير الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ... (آل عمران / ٢٠٠) الرقم ١٩٣ و تفسير الآية وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ... (التوبه (١٠٠) الرقم ٣٤٦ و ٣٤٧ و تفسير الآية وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ من غل ... (الحجر (٣٧) الرقم ٤٤١ و ٤٤٢، و تفسير الآية وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (طه (٢٩) الرقم ٥١٦ و تفسير الآية إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى ... (الانبياء (١٠١) الرقم ٥٢٨ و تفسير الآية وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِين (الحج (٣٤) الرقم ٥٥٣ و تفسير الآية مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله... (الفتح (٢٩) الرقم ٨٩٤ الى ١٨٩٨ و تفسيرسورة والعصر (الآيات ١ الى (٣) الرقم ١١٦٠ الى ١١٦٢ وغيرها من الاحاديث التي أوردها الحسكاني في مناقب الخلفاء وإن كان في اسانيدها ضعف و متنها مناكير كما صرح به المحقق التحرير الشيخ محمد كاظم المحمودي في هوامش الكتاب[٢] وهذا القسم من مفسرى أهل السنة فسروا من جهة العهد بما يعم النبوة والزعامة الدينية، بل يشمل حتي الأفراد العاديين مثل أئمة الجماعات، ومن جهة أخري جعلوا الظالم قبال العادل. علم الإمام: إختار أكثر أهل السنة تفسير العهد بمعناه العام، وجعلوا الظالم مقابل العادل فعلاً، وعليه فمصداق العهد عندهم كل أمانة أقل من الإمامة أو النبوة، بما يشمل الخلفاء والحكام والعلماء والقضاة و..... وأن هاؤلاء ينبغى أهليتهم التامة الكافية للتصدى لمسؤولياتهم، ولا حاجة فيه إلى علم لدني، ولا إلي عصمة عن الخطأ. وعلي سبيل المثال قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ١/٦٠٦ ذيل هذه الآية في عدالة الإمام وعلمه: «أن يكون عدلاً مجتهداً في أحكام الشريعة». وطرق بعض مفسرى السنة ذيل الآية ٢٤٧ البقرة ٢ في قصة زعامة طالوت إلى شروط الزعامة وأن من جملتها العلم، كما في المغنى لعبد الجبار ١/١٩٨، وتفسير القرطبي ١/٢٧٠، وإن كان بعض أهل السنة يشترط الاجتهاد للإمام إلا أنهم ذهبوا إلي أن الإمام في بعض الموارد التي لا يستطيع فيها الوصول إلي العلم يلزم عليه مراجعة العلماء والمجتهدين فيها.وقال الزمخشري المعتزلي في الكشاف ١/٢٩٢ والظاهر أن المراد بـ بسطة في العلم والجسم (البقره (٢٤٧) بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من امر الحرب و يجوز ان يكون عالماً بالديانات وبغيرها وقيل: قد أوحي اليه و تبيء وذلك ان الملك لابد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدري غير منتفع به وقال الآلوسي الأشعري في تفسيره ٢/٢٥٢ عند قصة ذكر طالوت للقيادة:فلان العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطراً في القلوب . وخلاصة الكلام أن اختلاف الفريقين في معني العهد والظالم صار سبباً لاختلاف آرائهما في علم الإمام، فمن توسع في معني العهد بما يشمل الحاكم والقاضي و.... وفي معني الظالم بما يساوى العادل لا المعصوم، قال بأن الملاك في العهد أن لا يكون ظالماً بالفعل وأن الظالم بمعني الفاسق، وأن العهد لا يصل إلي الفاسق، بل العادل فعلاً فحسب دون النظر الي سوابقه من شرك أو فسق، ودون حاجة إلى علم موهوب إلهي أو وحى تسديدي.

المبحث الثالث (٣١) تقييم آراء الفريقين

الخلاف الحاصل بين الطرفين سببه الاختلاف في تفسير العهد في لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فذهب مفسر و الشيعة و بعض مفسرى السنة إلي تفسير العهد بالمعني الخاص وهو الإمام المذكور في صدر الآية بينما ذهب معظم أهل السنة إلى تفسيره بالمعني العام بما يشمل كافة المناصب الدينية للحكام والقضاة و.... وأيضاً السفارة الإلهية مثل النبوة والرسالة، وهذا الاختلاف في الرؤي جعل من الصعب الكلام في عصمة الإمام، وعليه السفارة الإلهية مثل النبوة والرسالة، وهذا الاختلاف في الرؤي جعل من الصعب الكلام في عصمة الإمام، وعليه فينبغي متابعة البحث مع التفكيك في معنى العهد. العهد بالمعنى الخاص بالإمامة: يبدو لنا أن تفسير العهد في الآية بالمعني الخاص أقرب للواقع، ويدل عليه أمور: ل دلالة السياق في الآية، حيث ذكر العهد ذيل الآية التي جاء في صدرها ذكر الإمام، والمعني المطابقى للعهد هو المتقدم في قوله: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا. ب – أن إبراهيم الله طلب من الله لذريته نفس الإمامة التي جعلها الله نفسه بعد نبوته، وكما يظهر من بعض الروايات أن إبراهيم الله عليه الابتهاج لوصوله إلى درجة الإمامة العظمي والفيض الإلهى فأراد من الله استمرارها في بعض ذريته، وكان الجواب الإلهى متطابقاً لهذا الطلب، وأن من ظلم من الذرية تصل إليه الإمامة. ج – استجابة طلب الخليل للإمامة بحق ولده وحفيده إسحاق ويعقوب حيث ورد صريحاً في الآية ٧٢ من سورة الأنبياء: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ..... ومقام الإمامة لإسحاق ويعقوب وكما تقدم في الفصل السالف غير مقام النبوة، بل هو فوق النبوة وهو نفس المعني الخاص للإمامة التي جعلها الله لا براهيم الله. وربما يمكن القول بأن ظاهر الآية ١١٢-١٠٩ الصافات سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ... وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ أن إبراهيم الله كان على علم بنبوة إبنه قبل أن يولد – حينما بشره الملائكة –

وعليه فإن طلبه وَمِنْ ذُرِّيَّتِي هو طلب مقام الإمامة للذرية بعد التأكد من كينونة النبوة فيها، واستجاب الله لهذا الطلب، وعليه فمعني العهد هو الإمامة فحسب. وإذا كان العهد بمعناه الخاص المذكور في صدر الآية وكما ذكرنا في الفصل الرابع والخامس أدلته وأنه أعلي من النبوة فينبغي تفسير الظلم بما يتناسب معه.ولم يشترط الله علي إبراهيم الله حينما قال: وَمِنْ ذُرِيني بأن الإمامة تتحق لهم بعد ابتلائهم، بل اشترط عدم الظلم، فهل المراد بالظالم غير المعصوم أو غير العادل، يبدو لنا أن المراد هو الأول، فالإمامة لا تصل إلا للمعصومين ولا تصل إلى غيرهم.

(٣-٢) الأدلة القائمة علي أن المراد هنا المعصوم هي:

لاشك أن الخليل وكما علم مراد الله من الإمامة كذلك علم مراده من الظلم، وعليه فلابد من تفسير الظلم في الآية بما يتناسب مع فهم الخليل وسيرته في مواجهة الظلم والظالم. فلابد وأن إبراهيم عالما كان يعلم:

١-أن كل معصيته فهي ظلم، كما في قوله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة (٢٢٩). وكما يعلم أن الشرك والكفر ظلم عظيم كما في قوله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان (١٣)، وفي الآية ١٢٥٤ البقره: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ، وأن جميع أنواع الظلم هو ظلم للنفس سواء أكان الشرك كما في قوله تعالي لبنى إسرائيل في الآية ٥٤ من سورة البقره: وَإِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ أو ظلم الآخرين كما في قوله تعالي في الآية ٢٣١ من سورة البقرة

٢- وكان يعلم ابراهيم الله أن أكثر المؤمنون مشركون كما في الآية ١٠٦ يوسف ١٢: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ وإن كان هذا النوع من الشرك لا يقابل الإيمان بل يجتمع معه، لأنه شرك في الطاعة، وذلك مثل الأعمال التي يأتي بها الإنسان رياء، أو علي سبيل الغفلة مثل أن يقول الإنسان للطبيب الله أولاً ثم أنت، وإذا دقق في الأمر عرف بأن الأمور كلها بيد الله تعالي، ولا استقلال للموجودات عنه تعالي. هذا وذهب بعض مثل ابن تيمية في الاستقامة ٢/٣١، والشنقيطي في أضواء البيان ٢/١٥٤ ، والسعدي في تيسير الكريم ١/٤٦٨ أن الآية نزلت في مشركي الحجاز، وتدل علي أن مشركي الحجاز كانوا موحدين في الربوبية ومشركين في الإلهية. وقد تعرضنا لإبطال هذا الرأى وبتفصيل في كتاب التوحيد والشرك دراسة مقارنة، ص ٣٤٨-٣٤٠، وهذه الآية وكما يعرف من سياقها هي في المؤمنين، وأن أكثرهم مشركون، وروايات أهل البيت تؤكد هذا، فقد روى في الكافي ٢/٣٩٧ و تفسير العياشي ٢/٢٠٠ عن الإمام الباقر مثلية أنه قال: شرك طاعة، ليس شرك عبادة، والمعاصى التي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره، وليس بإشراك عبادة أن يعبدوا غير الله و ورد نحوه عن الصادق الله في الكافي ٢/٣٩٨ أيضاً، وروي ابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢٢٠٨ عن الباقر الله أنه قال: «شرك طاعة، وقول الرجل لولا الله وفلان و بمضمونه في تفسير العياشي ٢/٢٠٠ عن ابي عبدالله الصادق له قال: هو الرجل يقول لو لا فلان لهلكت. - أن إبراهيم الله وحسب آيات عديده كان بريناً من كافة أنواع الشرك وفي كافة الأزمنة، ففي الآية ٩٥ من سورة آل عمران: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وقال تعالي في الآية ١٢٠ من سورة النحل: وإن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.وقلنا بأن المشرك ظالم، وأن إبراهيم الله كان بريئاً من هذا الظلم دائماً، وفهمه من لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ - والله اعلم - أن من تلوث بالشرك ولو لفترة من عمره فلا يصل إليه هذا المقام. - قال الله في إبراهيم وإسحاق ويعقوب الله حسب الآيات ٧٢ و ٧٣ من سورة الأنبياء حيث بلغوا مقام الإمامة وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ وهذا الوصف يدل على عصمتهم من الشرك والمعصية. قال يوسف الله في وصف نفسه وأبيه وجده يعقوب وإسحاق وإبراهيم : وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (يوسف (٣٨)، فقوله: مَا كَانَ لَنَا ... مِنْ شَيْءٍ نكرة في سياق النفى، وهو يفيد العموم، ويشمل كل شرك خفى وجلي ولو في لحظة، ويفيد العصمة المطلقة لهم في كل فترات حياتهم. ومن تقابل المحسن للظالم في ذرية إبراهيم وإسحاق الله في الآية ١١٣ من سورة الصافات: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنُ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مبين يستفاد عصمة المحسنين، وذلك أن في هذه السورة في الآية ٧٩ وصف نوح به، وكذلك في الآية ١١٠ منها وصف به إبراهيم الله، وفي الآية ١٢١ منها لموسي وهارون ، وفي الآية ١٣١ منها في وصف الياس الله، وكلهم أنبياء معصومون ومن إطلاق ولا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ يستفاد عموم الأوقات. فإن قيل: إن الحكم في أكثر القضايا وخاصة السالبة مقيدة بقيد الوصف فيها، مثل قوله في الآية ١٤١/ الأنعام الإنَّه لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وعليه فيحمل لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ علي الحالة الفعلية دون السوابق. قلنا: في الآية ١٢٤ من سورة البقرة قرينة علي الاطلاق، ذلك أنه لاشك أن إبراهيم الخليل لم يرد النبوة أو الإمامة للظالمين من ذريته حين اتصافهم به وقبح مثل هذا الطلب والسؤال غير مستور عليه مع بلوغه مقام الإمامة والنبوة والذي طلبه الخليل من ربه بقوله ومن ذريتي هو الاستفسار عن وصول التائبين والمتطهرين من ذريته إلى درجة الإمامة - لمكان «من» للتبعيض - فأجابه الله بالنفى ولا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، وأنه خاص بالمعصومين من ذريته. ومن هذا المنطلق كان طلب إبراهيم :

أولاً: الإمامة لبعض ذريته فقال: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

ثانياً: أنه دعا ربه وقال: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم (ابراهيم / ٣٥-٣٦) فطلب من الله طهارتهم من الشرك حتى تصل الإمامة إليهم، ولا فرق فيه بين من تلوث بالشرك ثم تاب، أو أشرك ولم يتب، فكلاهما محرومان من الإمامة. ضرورة العلم الخاص للإمام وعصمته والقدر المتيقن لهذه الأدلة ضرورة هذا العلم وعصمته كركنين أساسيين.فالركن الأول أن مقام الإمامة أو العهد الإلهي يصل إلى من يكون حين حصوله على الإمامة وبعدها حائزاً علي العصمة والعلم الإلهي الذي لاخلل فيه، وذلك لأنه لو فقد هذا العلم أو لم يكن معصوماً فمن الممكن تلوثه بالظلم وتعدى الحدود الإلهية، قال تعالي: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (البقرة (٢٢٩)، والتلوث بالشرك بالطاعة أيضاً كما في الآية ١٠٦ من سورة يوسف: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (٣).فإبراهيم وإسحاق ويعقوب حينما بلغوا درجة الإمامة كانوا معصومين ومؤيدين بالعلم الإلهي غير الاكتسابي فضرورة العصمة بأعلي درجاته تبدو بوضوح عند ما نقول – وبحسب الرأى المختار والأدلة المذكورة في الفصل السابق أن الإمام مفترض الطاعة، فالأئمة ويهدون بأمرنا إلى ما تقتضيه المشيئة الإلهية، فعلمهم مصوناً عن الخطأ لأنهم دليل ارادة الله وأوامرهم ونواهيهم هي نفس الأوامر الإلهية اللازمة الاتباع، والتخلف عنها حرام ويستتبع العقوبة وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ (الأنبياء / (٧٣) وهو وصف خاص لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بصفتهم أنهم أئمة يدل علي العلم الإلهي للإمام بوحي تسديدى مقارن لصدور الفعل، وقد قلنا في الفصل الخامس يمكن أن يفسر هذا العلم والوحي بالتحديث، ومثل هذا المقام أجل وأعلى من أن يصل إليه الإنسان العادل أو العادي، بل هو هبة إلهية تتطلب علة الحدوث والبقاء. وأهل السنة عموماً يعتقدون بعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر، ويقبلون العلم الرباني اللدني لهم، فهم يعتقدون الإبراهيم الخليل ذلك وصفته نبي، وبطريق أولي يعتقدون له العصمة والعلم الموهوب الإلهي بعد نبوته بصفته قدوة في خصال الخير والسنن قال القرطبي في جامع الاحكام ١/٣٨ قال جمهور من الفقهاء من اصحاب مالک و ابی حنيفه والشافعي: إنهم الى الانبياء معصومون من الصغائركلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم و سيرهم أمراً مطلقا من غير التزام قرينة فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الإقتداء بهم.... قال الاستاذ ابو اسحاق الإسفرايني و اختلفوا في الصغائر و الذي عليه الاكثر ان ذلك غير جائز عليهم وصار بعضهم الى تجويزها و لا أصل لهذه المقاله»وقال فخر الرازي في تفسيره ٢٤/١٨٨: وجب الجزم بعصمة الانبياء وقال القاضي عياض في الشفا ٢/٨٠٩ في فصل الرد علي من أجاز عليهم [الانبياء) الصغائر والكلام علي ما احتجوا به في ذلك قال: واعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين و من شايعهم علي ذلك من المتكلمين احتجوا علي ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث، إن التزموا ظواهرها افضت بهم الي تجويزالكبائر وخرق الاجماع وهو ما لا يقول به مسلم. فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه و تقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك، فاذا لم يكن مذهبهم اجماعاً وكان الخلاف فيما احتجوا به قديماً وقامت الدلالة علي خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الي ما صح، وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله .ثم ذكر الآيات والروايات والاستدلال بهما والجواب علي المناقشات في ظواهر هما.والمهم هنا أن يفسر أهل السنة العهد بمعني الإمامة المذكورة في صدر الآية، والتي هي عندهم إما النبوة أو ما هو أعلي منها، وإلا وكما سيأتي فإن تفسير العهد بما يشمل كافة المناصب كالحكام والقضاة تفسير خارج عن السياق وغير تام. والركن الأساسي الثاني الذي حصلنا عليه من الأدلة السالفة أن مقام الإمامة أو العهد الإلهي لا يصل إلى من يكون له سابقة شرك أو كفر أو معصية حتي ولو تاب منها، وهذا الرأى في غاية الوضوح عند مفسرى الشيعة وحسب الأدلةالسالفة.وأما عند مفسرى السنة وبما أنهم يشترطون العصمة عن الشرك والكفر لإحراز مقام النبوة كما صرح به ابن عطية الأندلسي في المحرر ١/٢٠٧ ، والفخر الرازي في تفسيره ٦/٣٩ وقال: «فمن كفر بالله طرفة عين فإنه لا يصلح للنبوة»، والبيضاوي في تفسيره ١/٨٦، ونسب القاضي عياض في الشفاء ٢/٨٠ هذا القول الى جميع المتكلمين والمفسرين فاشتراط العصمة للإمام يكون أولى وعلى أي ينبغى التذكير بأن عامة النقد المذكور هنا لآراء الدليمي والبغدادي وغيرهما هو نقد المضامين وليس بالنقد المنهجي، وقد ذكرنا في فصل رتبة الإمامة وبإيجاز النقد المنهجي لأبحاثهم وكشفنا ما فيها من ضعف وزلل.

(٣-٣)عند تقييم آراء الفريقين ينبغي ملاحظة نقاط عديدة منها:

أ- ملاحظة مفاهيم ومصاديق الظلم في القرآن.

ب – فهم إبراهيم الله المقام الإمامة ولمعني الظلم، وسيرتها في مواجهة الظلم والظالم.

ج – الالتفات إلى إطلاق لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ :

د فهم عظمة مقام الإمامة.

ه فرز النظريات في معني العهد , ذلك أن البعض حمله علي المعني الخاص، بينما ذهب بعض آخر إلى معناه العام، وخلط آخرون بينهماوإذا كان العهد بالمعني الخاص للإمامة المذكورة في صدر الآية، فلابد وأن يستلزم عصمة الإمام عن الشرك والمعاصى قبل الإمامة، فلا تصل إلى

المشرك ومرتكب المعاصى أبداً عند الشيعة واما عند اهل السنة فالعهد المذكور إما أنه يساوق النبوة فلاخلاف في لزوم العصمة – على الأقل من الشرك – وإما أنه أعلى من النبوة فأولي ومن المعاصى لأن النبي عند السنة معصوم عن المعاصى، وإما أنه شامل لكافة المسؤوليات الدينية التي هي دون النبوة – فمن الممكن مع الاستدلال بالآية إبطال إمامة الفاسق ومشروعية الإمام العادل، دون النظر إلي سوابق هذا الإمام من شرك أو معصية إلا أنه من الصعب إثبات هذا المعني بل غير ممكن، ومن قال به من أهل السنة لم يأت ببرهان عليه.وعليه فالعهد هو بالمعني الخاص للإمامة المذكورة في صدر الآية، ولا تعرض للآية لخلافة الخلفاء والسلاطين حتي يضطر أهل السنة لتغيير معني العهد.ادالادلةففي نظرية الشيعة التي تقول العهد بالمعني الخاص للإمامة المذكورة في صدر الآية فإنه يوجب عصمة الإمام ويوجب أيضاً وبالتبع العلم اللدني الخاص للإمام، ذلك أن الإمام إذا لم يكن عالماً بالفعل وجامعاً لأطراف الكمال ومصوناً عن الخطأ فإنه عرضة للزلل وهذا ينافي العصمة.

خلاصة البحث

١- المعرفة وتقييم عصمة الإمام وعلمه من الآية ١٢٤ البقرة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ ينبغي التدقيق في سؤال إبراهيم الله ومن ذريتي وفي الجواب الإلهى: ولا ينالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ، فالخليل وحسب معظم آراء المفسرين أراد الإمامة لبعض ذريته، فكان الجواب لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ . ثم هل العهد بمعني الإمامة الخاصة أو الأعم من ذلك بما يشمل كافة المسؤوليات والمناصب الدينية، وهل الظالم مقابل العادل أو مقابل المعصوم

٢- ذهب مفسرو الشيعة إلي أن من في وَمِن ذُرِّيَّتِي للتبعيض، والعهد بالمعني الخاص للإمامة المذكورة صدر الآية، وذهب بعض منهم إلي أنها بمعني السفارات الإلهية الخاصة التي هي بحاجة إلي جعل إلهي خاص مثل النبوة والرسالة واستدلوا بظاهر الآية ووحدة السياق فيها بين السؤال والجواب الواردة في المقام. وقالوا أيضاً بأن الظلم فيها يقابل العصمة واستدلوا عليه أيضاً:

أولاً: بفهم إبراهيم الله المقام الإمامة وأنها خطيرة وقيمة وعظيمة

ثانياً: وبما أنها مثل النبوة وأمثالها مما تحتاج إلي نصب خاص إلهى فهى لا تصل لمن سبقت له الذنوب ولا تتلائم معه

ثالثاً: أن إطلاق لا ينال عَهْدِي الظَّالِمِينَ يشمل كافة الأزمنة قبل الإمامة وبعدها.

رابعاً: ويمكن أن يستدل عليه أيضاً ببرهان السير والتقسيم الذرية إبراهيم،

خامساً:وبالروايات الواردة في المقام. والنظرية الشيعية متطابقة مع مصطلح الإمامة بالمعني الخاص وأنه مفترض الطاعة بصورة مطلقه.

لم نجد في مصادر السنة حديثاً عن النبي الأكرم ولا عن أصحابه في معني العهد الظالمين، واختلاف التابعين فيه يحكى أيضاً عن غياب النص، فما أبداه التابعين فيه هو من باب الاجتهاد دون الاعتماد علي النص،

ورأى أهل السنة فيه قائم علي هذه الأمور:

أولاً: التوسع في معني العهد ليشمل كافة المناصب الدينية.

ثانياً: تفسير الظالم بما يقابل العادل لا المعصوم، ودون التفات إلي سوابقه من شرك أو غيره. وانتقد بعض مفسريهم وبتفصيل رأى الشيعة في تفسير الآية واستدلالهم على إبطال خلافة الخلفاء الثلاثة، ومحور نقدهم هذا أنهم قالوا إن عنوان الظالم حين تصديهم للخلافة لم يك صادقاً عليهم، وإن كانوا فيما سبق من عبدة الأصنام والظالمين

المصادر

القران الكريم

١) الشيخ الصدوق في الخصال تصحيح علي اكبر الغفاري رقم منشورات جماعه المدرسين ١٣٦٢

٢) الشيخ الطوسي في التبيان بيروت داراحياء التراث العربي ١٤٠٢ ق

٣) الطباطبائي في الميزان قم منشورات جماعه المدرسين

٤) ابن شهر أشوب في متشابه القران ومختلفه قم انتشارات بيدار ١٤١٠ ق

٥) مكارم الشيرازي في الامثل قوم مدرسه الامام علي بن ابي طالب ١٤٢١ ق

٦) جواد الاملي في تسنيم عبد الله تسنيم تفسير القران الكريم تنظيم واعضي محمدي قم مركز نشراسراء ١٣٨٦ق

٧) الكافي عيون اخبار الرضا تصحيح علي اكبر الغفاري طهران دار الكتب الاسلاميه ١٣٨٨ ق

٨) نجار زاد كان فتح الله خلق عظيم وتفويض دين مجله مقالات وبردسها دانشكده الاهيات دانشكات تهران شماره ٨٤ / ١٣٨٤ شين , موسوعه الدراسات القرانيه المقارنه المجلد الثالث مبادئ تفسير القران دراسه المقارنه ترجمه محمد حسين حكمت بيروت مركز الحضاره ٢٠١٨ ميلادي

٩) الالوسي روح المعاني مختصر التحفه الاثنى عشريه المطبعه السلفيه ١٣٧٣ ق
١٠) الحسكاني شواهد التنزيل / مناقب الخلفاء
١١) ابن المغازيلي المناقب
١٢) ترجمه الجواهر في طبقات الحنفيه
١٣) عبد الله بن عبد الهادي الدمشقي طبقات علماء الحديث
١٤) ابو حيان الاندلسي في البحر المحيط
١٥) المغني لعبد الجبار
١٦) تفسير القرطبي الجامع الاحكام القران القاهره دار كتاب العربي ١٣٨٧ ق
١٧) الزمخشري جار الله محمود الكشاف عن حقائق غمامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل قم نشر اداب حوزه

هوامش البحث

[١] – وقد ناقش الألوسي في تلك القسمة الأربعة (الآلوسى، روح المعانى، ج ١، ص ٢٥٦) واجاب عنه آية الله جوادي الأملى (انظر: اية الله جوادي الأملى، تسنيم، ج ٦ ص ٥٣٠–٥٣٢)

١_ المزيد الاطلاع الترجمة الحسكاني انظر: مقدمة شواهد التنزيل بقلم المحقق الشيخ محمد كاظم المحمودي.

[٣] – فسياق الآية وروايات الفريقين تدلان على أن الشرك في الآية، شرك الطاعة لأشرك العبادة (انظر: الكافي للكليني ٢/٣٩٨ و تفسير العياشي ٢/٢٠٠ و تفسير ابن ابى حاتم ٧/٢٢٠٨